مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

مؤتمر الأئمة الثالث عشر

شيكاغو - أمريكا

التعامل مع الأطياف الدّعوية المختلفة

بين مقاصد الشرع وضوابطه

دكتور

عماد مصطفى أبو الرُّب

رئيس المركز الأوكراني للتواصل والحوار

عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

عضو مجلس أمناء التجمّع الأروبي للأئمّة والمرشدين

مقدّمة..... ٤
تعريفات:..... ٥
الدّعاة وواقعنا المؤلم:..... ٧
الوحدة الإسلامية مطلب شرعي ومقصد إنساني:..... ٨
عوامل التفرقة بين علماء المسلمين ودعاتهم:..... ٩
مقوّمات الوحدة بين علماء المسلمين ودعاتهم:..... ١٠
أثر المسائل الخلافية في إحداث شرخ في وحدة الأمّة:..... ١١
كيفية المواءمة بين الحرص على سلامة المنهج والحرص على الائتلاف وجمع الكلمة:..... ١٢
كيفية التعامل مع المؤسسات الإسلامية ذات النفس الليبرالي: حضور منتدياتهم ومشاركتهم برامجهم ١٣
الصورة الأولى: مواقف للنبيﷺ: تهدف لجمع كلمة النّاس:..... ١٤
الصورة الثانية: - مواقف معتبرة من سيرة الصحابة للتوافق مع بعضهم البعض ومع غير المسلمين:..... ١٥
الصورة الثالثة: مواقف معتبرة تهدف لجمع الكلمة من سيرة السلف الصالح وسيرتنا المعاصرة:..... ١٦
من أبرز مواقف وتوصيات أهل العلم المعاصرين في هذا المجال والتي أحببت الاستشهاد فيها:..... ١٧
صور لا بدّ من الحذر منها في جمع الكلمة:..... ١٩
توصيات هامّة..... ٢١
الخاتمة..... ٢٢
المراجع..... ٢٣

مقدّمة

تعاني أمّتنا اليوم من الفرقة والانقسام والتمزّق مما لا يخفى على أحدٍ منّا، ولا نرى – للأسف الشديد – في الأفق القريب ملامح لوحدتها وتماسكها مما أفقدها مكانتها بين الأمم وأضعف دورها في أداء الرسالة التي أوكلها الله بها وهي دعوة الإنسانية لدين الله وحثّها على التمسّك بالقيم الفاضلة التي تستقيم بها الحياة.

وبما أن مكوّنات الأمّة من أفراد ومذاهب ومدارس ومؤسسات هي النّواة الأساس في إصلاحها وتوجيهها كان أمر دراسة واقعها وتشخيص حالتها أمر أساس للنهوض بها والأخذ بيدها لتعود متوحّدة على الخير وقيم الخير، ولنجعل من تماسكها انطلاقة راشدة لمواجهة التحدّيات والأزمات التي تعاني منها.

التعامل مع الأطياف الدّعوية المختلفة في واقعنا اليوم بات ضرورة ملحّة يفرضها واقع العالم العربي والإسلامي والإنساني، وبات يفرض نفسه اليوم لما نراه من تفرّق الأمّة الإسلامية وتمزّقها وتشتّت جهودها، ولمواجهة التّحدّيات الكبيرة التي تواجهها داخلياً وخارجياً.

وستبحث هذه الورقة تعريف الأطياف الدّعوية ومقاصد الشرع فقه الموازنات والانطلاق منها لعرض مقاصد الدين من وحدة المسلمين وتعاونهم على نشر الإسلام والتعريف به وإزالة الشبهات عنه إضافة للحفاظ على المقدّسات ومقدّرات الأمّة. وستتناول هذه الورقة فقه الموازنات الدّعوية وأثره على مواقف الدّعاة المنضبطة بأحكام الشرع والتي تستفيد من المساحة المباحة في دائرة الشرع أملاً بتقليل الفجوة بين الفرقاء من أبناء الأمّة أفراداً ومؤسسات.

كما ستعرض الورقة لأبرز الأمور المختلف حولها والتي أثارت تحفّظات فقهية عند بعض الدّعاة وأوجدت فتوراً في العلاقات بينهم أو انقطاعاً كاملاً فوّت على الأمّة أن تكون متّحدة قويّة متماسكة.

وسنقدّم في ختام هذه الورقة توصيات هامّة سيكون لها الدّور الكبير – بإذن الله – في رسم ملامح مستقبل العلاقات بين المؤسسات الدّعوية إضافة لإعطاء الصورة الصافية عن الإسلام ورسالته الإنسانية والساعية لنشر ثقافة التعايش الإيجابي واحترام الآخر. والله نسأل التوفيق والسداد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د. عماد مصطفى أبو الرُّب

رئيس المركز الأوكراني للتواصل والحوار

تعريفات:

كثير من المصطلحات التي يتكرّر ذكرها في هذا البحث إضافة إلى أنها مرتكز أساس لعرض أفكاره تحتاج إلى تبيين لتكون منطلقاً للبناء عليها، وبعضها لفظ مركب من جزأين، مما يقتضي معرفة مفرداته وهذا مبدأنا في تعريف المصطلحات:

١ - الأطياف الدّعوية:

- الأطياف لغةً: جمع طيف،ويأتي بعدة معاني منها الجنون، الغضب،ألوان الطيف. (١)

و يعني بها البعض المجموعات أو الأقسام أو الألوان، فهي ترجمة لكلمة spectrum بالإنجليزية ومعناها مجموع الألوان.

- الدّعوة لغةً: النّداء والطلب

اصطلاحاً: عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -أنها: (الدعوة إلى الله، هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا) (٢)

.وهي عنده كذلك " تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به والنهى عن كل ما نهى الله عنه ، وهذا هو الأمر بكل معروف والنهى عن كل منكر "

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣)

وعلى ذلك يمكننا أن نعرّف الأطياف الدّعوية بأنّها:

المجموعات والأقسام المختلفة التي تنتسب إلى الإسلام وتتباين في طريقتها في فهم وعرض الإسلام وتسعى إلى الدّعوة إلى الله والإيمان به والالتزام بأوامره ونواهيه ضمن أحكام الكتاب والسنّة وما اتّفق عليه علماء الأمّة من إجماع وقياس.

٢- تعريف مقاصد الشرع:

- المقاصد لغةً: تعود كلمة «مقصد» إلى أصل (ق ص د)، ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهوض نحو

(١) المعجم الوسيط.
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١٥/ ١٥٧.
(٣) سورة يوسف١٠٨.

الشيء، على اعتدال كان أو جور. هذا أصله في الحقيقة وإن كان يُخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل[١]

وفي الاصطلاح: اخترت تعريف العلّامة الريسوني حيث اعتبرها: "المقاصد جمع مقصد، والمراد بالمقصد هنا: المعنى والهدف، والغرض الذي قصده الشارع، فهو مقصد له، وهو مقصود له أيضًا.وأما الشريعة، فهي ما شرعه الله تعالى لعباده من أحكام ليهتدوا بها، أو بعبارة أخرى: هي الأحكام التي تضمَّنها القرآن الكريم والسنة النبوية[٢]

وعرّف الأستاذ أحمد الرّيسوني المقاصد الشرعية أنّها:

" مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد "[٣] وهي أيضًا كما عرَّفها الدكتور وهبة الزحيلي:

"الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة الغرَّاء، وأثبتتها الأحكام الشرعية، وسَعَت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان"[٤]

٣- تعريف فقه الموازنات:

الفقه لغةً: العلم بالشيء والفهم له. وقيل هو الفطنة، يقال: أوتي فلان فقهاً في الدين أي فهماً فيه [٥]

اصطلاحاً:عرّفه كثير من العلماء بتعريفات مختلفة ولعلّ تعريف تاج الدين السبكي الشافعي هو أجمعها حيث قال: " هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلّتها التفصيلية ". [٦]

الموازنات لغةً: والموازنة أصلها من الوزن، قال ابن فارس: الواو والزاي والنون بناء يدل على تعديل واستقامة

قال: وزين الرأي أي معتدله، وهو راجح الوزن، إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي وشدة العقل [٧]

---

(١) لسان العرب، ٧/ ٣٥٥.

(٢) محاضرات في مقاصد الشريعة؛ للأستاذ الدكتور أحمد الريسوني – دار الكلمة للنشر والتوزيع – ص٩.

(٣) مقالة في موقع الألوكة لحمزة بن عبد العزيز المجاطي مقدمة في التعريف بعلم مقاصد التشريع رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia/0/71800/#ixzz3wIYVbctp

(٤) الأصول العامة لوحدة الدين؛ د/ وهبة الزحيلي – الطبعة الأولى ١٩٧٢ – ص٦١.

(٥) ٤٤٦/ ١٣ لسان العرب.

(٦) خلاصة الجواهر الزكية في فقه المالكية أحمد بن تركي المالكي المتوفى (٩٧٩ هـ) الناشر: المجمع الثقافي – أبو ظبي – الإمارات العربية المتّحدة. عام النّشر: ٢٠٠٢م.

(٧) معجم مقاييس اللغة، ٦/ ١٠٧.

وقد ذكر فضيلة الشيخ د. يوسف القرضاوي تعريفاً في فقه الموازنات بأن مداره حول "الموازنة بين المصالح بعضها وبعض، من حيث حجمها وسعتها، ومن حيث عمقها وتأثيرها، ومن حيث بقاؤها ودوامها" وهو كذلك "الموازنة بين المفاسد بعضها وبعض، من تلك الحيثيات التي ذكرناها في شأن المصالح" وهو أيضا "الموازنة بين المصالح والمفاسد، إذا تعارضتا".(١)

الدّعاة وواقعنا المؤلم:

تعاني الأمّة واقعاً مريراً فيه مظاهر الفرقة والتمزّق نتيجة لغياب ثقافة الوحدة الإسلامية وهو صورة مصغّرة لما عليه واقع دعاتها ومرجعياتها الدينية المعتبرة والتي اختلفت فيما بينها وتقاطع وتدابر الكثير منها فيما بينهم بل وصل الأمر لحدّ أن يُعادي بعضهم البعض يُضلّل هذا ويُفسّق هذا ويُكفّر هذا بل ويستبيح دم هذا ناهيكم عن إساءة البعض إلى الآخر من غير المسلمين والتعامل معه بغلوّ وانحراف عن أحكام الإسلام ومقاصده !!! كلُّ هذا نتيجة اختلافهم ببعض المسائل الفقهية غالباً و العقدية الفرعية وغيرها، وهذا انعكس على وحدة الأمّة وتماسكها فأعمل فيها فرقة وانقساماً سهّل على أعدائها استهدافها والنّيل منها والإساءة إليها وإلى عقيدتها وقيمها والسعي لنهب خيراتها تحت دعاوى واهية وبحجج ظاهرها مساعدتها للرقيّ والتقدّم وباطنها أهداف خبيثة تسعى لهدم القيم وجعل أجيالنا مهزومة نفسية محطّمةً تلهث وراء غيرها من الأمم بحثاً عن حياة كريمة وحريّة وعدالة اجتماعية.

وزاد الأمر سوءاً استهداف دعاتها المصلحين ومرجعياتها المعتبرة ممّا غيّب أو أضعف دورهم وتأثيرهم الإيجابي اللازم في توعية الأمّة وإرشادها وأعطى الفرصة لأدعياء العلم أن يتّصدّروا الواجهة ويُعملوا فيها بفتاوى وتصريحات خاطئة مسيئة لصورة الإسلام وأهله، بل واستند أعداء الأمّة إلى مثل هؤلاء الجهلة ليبرزوهم ويستخدموهم في مكائدهم ويحرّفوا مسارهم عن مقاصد الإسلام السامية لينعتوا الأمّة بالجهل والتشدّد والغلوّ إلى أن وصل بهم المطاف أن يعتبروا الإسلام بأصوله من كتاب وسنّة أنّها مصدر الإرهاب والتشدّد ويُعلنوا عليه الحرب بصور مختلفة !!

وكثير من دعاة وعلماء الأمّة اليوم بات يُدرك هذه المخطّطات الشريرة ويَعي أسبابها ومُسبّباتها وبدأ يسعى للمّ الشمل وجمع شتات الأمّة من خلال مخاطبة علماءها ودُعاتها والوقوف معهم على واقع الأمر ومآلاته وضرورة إعادة النّظر في الآراء الفقهية التي أحدثت بينهم هذه الفجوة وذلك التنافر.

ومن بشائر الخير أن هذه الجهود تنطلق من فهم وسطيّ شموليّ معتدل للإسلام وتستند للنصوص الشرعية دون ليّ للنصوص وتحريفها عن مقتضاها ودلالاتها المعتبرة. وما هذا المؤتمر بأهدافه ومحاوره إلا خير مثال لهذه البشائر ومثله الكثير

(١) كتاب أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة فصل فقه الموازنات.

من جهود أفراد ومؤسسات ومرجعيات تتحرّك في كافّة الأقطار والقارات ضمن حكمة واتّزان والتزام بالقوانين النّظامية القُطْرِيّة والدّولية.

وما أراه في هذا الصّدد هو السير في منهجية واضحة المعالم ورؤية استراتيجية تستشرف المستقبل الذي ننشده لأمّتنا وعالمنا والقائمة على الاعتدال والوسطية والسماحة. وأن نتعاون جميعاً من مختلف المدارس لرسم هذه المنهجية وتلك الاستراتيجية مستعينين بالله ثم بنوايانا الخالصة وآرائنا الرّشيدة وهممنا الفتيّة. علينا كذلك أن نستشعر ونبرز أن خلافنا المقبول هو في الفروع والجزئيات والظنّيات والمتشابه وغير المنصوص عليه ولا يُقبل أن يكون في الأصول أو الكليّات أو القطعيّات أو المُحكم أو المنصوص عليه.

الوحدة الإسلامية مطلب شرعي ومقصد إنساني:

جاء الإسلام ليُحقّق مبدأ العدل والمساواة بين البشر أجمعين وهو بذلك مكمّلاً لرسالات الأنبياء والرُّسل الكرام عليهم أفضل الصلوات وأتمّ التسليم، وجعل الوحدة بينهم أساس متين يرتكزوا عليه ويجتمعوا به ليعمروا الأرض بالخير وقيم الخير.

وقد أوجب المولى تبارك وتعالى على الأمّة الوحدة ونبذ الاختلاف ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [1] كما بيّن أثر التنازع والاقتتال وما يؤدّي إليه من الضعف والجُبْنِ والوهن حينما قال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [2]

وقال رسول الله ﷺ: **"عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ وَمَنْ أَرَادَ بُحْبُحَةَ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ"** [3].

والنصوص في ذلك كثيرة واضحة بيّنة لا يختلف حولها مسلمان. ولكننا مع علمنا بمقصد الإسلام وغايته بأن نكون متوحّدين متماسكين إلا أن الواقع الذي نعيش يشهد عكس ذلك فمظاهر الفرقة والاختلاف صُورها ومظاهرها منتشرة في بلاد المسلمين بين علمائهم ودعاتهم وبين عوامهم بمختلف فئاتهم. كما أننا نرى للأسف الشديد البعض من المسلمين أنفسهم

(١) سورة آل عمران الآية ١١٣.

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٦.

(٣) رواه الإمام أحمد بن حنبل في (باقي مسند الأنصار – ورقمه ٢٢٣٩١). كتاب السنة،الشيباني،الجلد الأول،صفحة:٤٢،رقم الحديث:٨٨.

يُعمل في الأمّة تفريقاً من خلال ما يثيره من بذور الاختلاف بينهم ويُظهر المسائل الخلافية بشكل استفزازي يستثير فيه البعض على البعض الآخر محاولاً بقصد أو بغير قصد افتعال التصادم بين علماء الأمّة ودعاتها.

إنّ تقارب الدّعاة ومدارسهم ومؤسساتهم لا يعني أبداً إلغاء هذه الكيانات أو إندماجها في كيان واحد، ولا يعني إظهار التوافق والقبول ببعض المنحرفين الذين وصلوا للإلحاد وعداء الإسلام ومهاجمته وإقرارهم على ما هم فيه، لكنها تعني بقاء هذه الكيانات وجمعها على الأصول المشتركة بينها والتي أجازها الشارع وطالب بها وجعلها معتبرة لا تقوم الحياة إلا بها.

عوامل التفرقة بين علماء المسلمين ودعاتهم:

ولنكوّن انطلاقة راشدة لجمع شتات الأمّة ونُخبها لا بدّ أن نمرّ باستعراض وجيز لأبرز عوامل التفرقة بينها والتي تسبّبت بهذا الشرخ وذاك التفرُّق:

(١) التعصّب للرّأي وإقصاء الآخر حتى يصل الأمر لتكفيره أو تفسيقه أو تضليله، ويدخل في ذلك التعصّب للنعرات القومية والعنصرية والعرقية عند بعض المثقّفين والمؤثّرين في المجتمع ناهيكم عن النعرات الطائفية البغيضة فبدل أن يكون الإنتماء للأمّة الإسلامية الجامع بينهم والمُفاضل، يُصبح اللون أو اللغة أو النّسب معيار التفاضل!! ويضرب هؤلاء عرض الحائط بمنهج السلف الصالح في اجتماع كلمتهم ووحدة صفّهم حول أمّتهم الإسلامية.

(٢) جهل بعض العلماء والدّعاة أو تغافلهم عن أسباب الخلاف الفقهي المعتبرة وآراء المخالفين لهم ناهينا عن قلّة التزام بعضهم بآداب الاختلاف، فهم وإن أدركوا أسباب الاختلاف وآدابه إلا أنهم لا يلتزموا بها في واقع تعاملهم مما يتسبّب بإحداث الخلاف والاختلاف والفرقة والخصام. كما على المسلم أن يُحسن القول في عرض رأيه فقد أوصانا بذلك رب العالمين بقوله: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[1].

(٣) الحظّ الشخصي الذي نلحظه على بعضهم واتّباع الهوى ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[2] فمنهم من جعل هواه دولةً في الشرق أو الغرب ومنهم من جعله منصب أو مال أو جاه أو حزب او جماعة يتعصّب لها.

(٤) الاختلاف في مصادر التشريع عند البعض إضافة لعدم التفريق المحكم من المتشابه والمجمع عليه من المختلف فيه، والثابت من المتغيّر. وهذه النّظرة نراها عند البعض الذي يتسبّب بالخلاف والجدال وتأجيج الصراع والاختلاف بين العلماء والدّعاة.

(١) سورة الإسراء ٥٣.

(٢) [الفرقان: ٤٣].

(٥) وجود تدخّلات مُغرضة تهدف لضرب المدارس الإسلامية ببعضها مفتعلة الخلافات والاقتتالات التي تعمل جاهدةً على تغذيتها وتهويلها لتُعمل فُرقة في صفوف العلماء والدّعاة والنّخب الفقهية والفكرية والدّعوية والسياسية وغيرها.

(٦) سعي أعداء الأمّة ومعاونيهم لضرب التجارب الإسلامية النّاجحة أفراداً ومؤسسات لإجهاض مشروع وحدتها وتماسكها.

مقوّمات الوحدة بين علماء المسلمين ودعاتهم:

(١) تقوى الله وخشيته التي تجعل المرتكز الذي يجمع العلماء والدّعاة صحيحاً صافياً وقد قال رب العالمين: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[١]، وقال سيّد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم: "....**ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**"[٢].

(٢) الرّغبة والإرادة الصادقة بجمع كلمة المسلمين وتوحيدهم على ما يُرضي الله تعالى، وهذا يعني أن يكون اجتماعهم على كلمة الحق من خلال حشد العلماء والمفكرين وكافّة نُخب الأمّة الغيورين على حالها والجادّين برسم منهجيةٍ واضحة المعالم لإعادة وحدتها.

(٣) الوعي بثقافة الاختلاف وضوابطه التي تعني أن التباين في الآراء في المسائل الفقهية وبعض المسائل العقدية لا يعني التفرّق والتقاطع والتشاحن ما دام أنّ هذه الآراء لم تخرج عن القطعي الثبوت والدلالة من الأحكام الشرعية،ولم تُخالف إجماع الأمّة فلا بأس في الاختلاف فيها، أما التفرّق والتباغض فقد نهى الإسلام عنه مصداقاً لقول الحق تبارك في علاه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[٣].

(٤) العمل على إيجاد منهجية لتحقيق التعارف بين العلماء والدّعاة والمرجعيات الدينية المعتبرة للوقوف على آرائها وفهم أدلّتها ومحاورتها للوصول إلى المساحة المطلوبة من الوحدة والاعتصام.ويعين على ذلك أن يتدخّل أهل الفضل والعلم للإصلاح بين علماء المسلمين ومرجعياتهم، وقد أخبرنا النبيﷺ: فيما يرويه عنه أبا الدرداء رضي الله عنه أنه قال: ((**عن أبي الدرداء قال قال رسول اللهﷺ: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح**

(١) سورة الحجرات: من الآية ١٣.
(٢) أخرجه أحمد ٢٣٥٣٦.
(٣) سورة الشورى ١٣.

ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة))[1]

(٥) الفهم العميق لمعنى الولاء والبراء الذي يُعتبر أوثق عرى الإيمان، فإذا كنا نبرأ إلى الله من كل قولٍ وفعلٍ يبغضه الله ورسوله ونبغض فاعليه، فإننا بلا أدنى شك نُحب الله ورسوله والمؤمنين وكل من التزم بأوامر الله وانتهى عن ما حرّم الله عليه، وهذا دافع لنا لإزالة بغض بعض المجتهدين من أهل العلم الذين نختلف معهم في بعض المسائل التي لها مسوّغ للاجتهاد.

(٦) الخضوع للحق والالتزام به عند معرفته والوصول إليه عبر الأدلّة المعتبرة لا أن يتكبّر أحدٌ أو يعاند في مسائل ثبت له فساد قوله وصحّة قول مخالفه.

(٧) فهم وإدراك بعض المقاصد الشرعية والقواعد الفقهية التي تبيّن موقف الشريعة من التعامل مع بعض المسلمين الذين لهم آراء يخالفون فيها الشريعة في الأصول أو الفروع، أو يعرضون آرائهم ممزوجة بالفكر الليبرالي أو العَلماني أو غيره مما يستوجب تحديد منهجية التعامل معهم ومحاولة التأثير إيجاباً فيهم والتعاون معهم لدفع ضرر أو جلب مصلحة أو درء مفسدة أو تحقيق مقصد من مقاصد الدين يستوجب الوقوف معاً أمام أي حَدَثٍ له ضرورته وأهمّيته.

أثر المسائل الخلافية في إحداث شرخ في وحدة الأمّة:

إنّ كثير من المسائل الخلافية – إن أحسنّا فهمها والتحاور فيها – لا تستحق أن تكون سبباً في التقاطع والتدابر بين مكوّنات المجتمع العربي الإسلامي ناهيكم عن تفرّق علماءها ودعاتها وعدم تعاونهم مع بعضهم البعض، كما أن هناك مسائل تدخل في دائرة مقاصد الدين في جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم ولا يعتبر التغاضي عنها يعني إقرارها أو قبولها بمقدار ما يُظهر الحرص على الاستفادة من المساحة المقبولة في الاختلاف في المسائل لتجنّب الصدامات والخصومات التي نعمل على تجنّبها ووقاية أمتنا منها.

ولو نظرنا إلى واقع حياتنا في بلاد المسلمين وغير المسلمين لوجدنا أننا عملياً نتعايش مع كثير من غير المسلمين من أتباع ديانات وثقافات ومعتقدات بعيدة كل البعد عن أصول ديننا وثوابته وأركانه، ومع ذلك نتعاون معهم على إقامة برامج وأنشطة متنوّعة ندعوهم ونقبل دعوتهم لنا ونقيم معاً مؤتمرات واحتفالات وندوات وننشر كتباً ومؤلّفات ونصدر برامج إعلامية أو نشترك بها إضافة لكثير من صور اللقاء والتعاون في أمور مشتركة بيننا فرضها الواقع ومعطياته أو القوانين وأنظمتها علينا جميعاً نفعل كل ذلك دون أن نقع في إقرارهم في عقائدهم وسلوكياتهم التي تخالف معتقدنا ومبادئنا.

(١) سنن الترمذي ٢٥٠٩.

وبنفس الوقت نجد الانفصام الذي نعيشه عندما نتستنكف أن نشارك مخالفينا من المسلمين حضور مؤتمر أو لقاء أو مشاركة في برامج نقيمها معاً للتعريف بالإسلام وحضارته وقيمه ودحض الشبهات عنه ناهيكم عن التعاون فيما فيه خير لوحدة الأمّة وخير الإنسانية وجمع شتاتها !!!!!

فاعتاد الكثير منّا أن يرى إمكانية التواصل والتعاون مع أتباع ديانات وشرائع سماوية ووثنية وإلحادية ويبرّر لذلك ويستدلّ بنصوص شرعية وآراء اجتهادية !!! ولكنه يحمرّ وجهه ويقطب جبينه إن رأى مسلماً يخالفه الرّأي حتى لو كان التوافق في أصول العقيدة ولا حول ولا قوة إلا بالله !!!!

وللعمل على توضيح هذه المسائل وتجلية ما يمكن قبوله أو رفضه منها، وما تستوجب مصلحة المسلمين قبوله أو عدم معارضته نعرض بعضاً منها ضمن منهجيّتنا التي تقوم على عرض النّموذج وأدلّته من سيرة النبي محمدﷺ: والسلف الصالح لتكون منطلقاً لنا نستند عليه في تبيين ما يجوز وما لا يجوز في التعامل بين مكوّنات الأمّة، مع التأكيد أن الأمر يحتاج لدراسات متخصصة متعدّدة تبحث هذه المسائل وتعرضها ضمن دراسة شرعية متكاملة لا نخرج فيها عن نصوص الدين ومقاصده.

كيفية المواءمة بين الحرص على سلامة المنهج والحرص على الائتلاف وجمع الكلمة:

إنّ كثير من مواقفنا تجاه بعضنا تحتاج إلى مراجعة علمية كونها تستند إلى أدلّة غير قطعية الثبوت أو الدلالة، ويعيننا على ذلك أن نضع معالم واضحة للولاء والبراء الذي بسوء فهمه قطّعنا أوصال أمّـتنا. ولخللٍ في أفهامنا أو ردّة فعلٍ لنقاشاتنا وجدالنا وصلنا إلى هذه الصورة المفجعة من تكفير وتضليل بعضنا البعض.

إن الكثير من المرجعيات الدينية المعتبرة والدّعاة والعلماء يتشدّدون في حرصهم على سلامة المنهج مما يجعلهم يتجاوزوا مخالفتهم للآخر إلى تضليله وتفسيقه أو تكفيره !! فلا هم حافظوا على الفهم الصحيح لسلامة المنهج، ولا هم وحّدوا الأمّة وجمعوا كلمتها على كتاب الله وسنّة نبيّه !!!

كما أن توافقنا على خطأ آراء ومواقف ومعتقدات بعض المسلمين قد لا تكون مبرّراً لنبذهم ومقاطعتهم وعدم التوافق معهم على أي شيء حتى في أبسط مجالات التعاون الإنساني!!!!

لأجل ذلك نرى ضرورة تحديد المحكم والمتشابه في سعينا لجمع كلمة الأمّة وتوحيد صفوفها وتحقيق الإئتلاف بين أبنائها.

كما يلزمنا كذلك التأكيد على أن النصوص الشرعية المقدّسة شيء وفهمنا لها واجتهادنا في استنباط الأحكام منها شيء

آخر، بمعنى ألا يجعل أحدنا فهمه هو الإسلام، وأن من خالفه خالف الإسلام وشريعته وبالتالي فسق أو ضلال أو كفر !!!!

وأجد أن عرض بعض الصور التي توافق فيها رسولنا الكريم مع قومه غير المسلمين لما فيه المصلحة العامّة أو دفع المفسدة المتوقّعة انطلاقة للباحثين والدارسين ليعملوا جهدهم في الدراسة المعمّقة والبحث التفصيلي للوصول إلى ما أجازته الشريعة وأقرّه النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وما يمكن أن نعتبره خارج دائرة تحقيق مصلحة أو دفع مفسدة فكان موقف رسولنا منه الرّفض.

كيفية التعامل مع المؤسسات الإسلامية ذات النفس الليبرالي: حضور منتدياتهم ومشاركتهم برامجهم

إن عالمنا اليوم والكثير من قوانينه أتاحت لكل شخص يعتقد شيئاً أن يعبّر عنه دون أن يسئ للآخر وتكفّلت القوانين بحمايته وحريّته وأفكاره ما دام أنها ملتزمة بالقوانين ولا تتسبّب بإثارة العنف والكراهية بين البشر. وأدّى ذلك لتواجد الكثير من العقائد القريبة والبعيدة عن الإسلام وشريعته في الوقت الذي يتعامل المسلمون مع الآخر طلاباً ومدرسين ومدراء ومسئولين وجيرانٍ وشركاء برضاه أو بغير رضاه، بل يجد نفسه ملزماً أحياناً أن يخدم الآخر أو يعمل معه أو تحت أمره.

ولذلك نقول أننا بحكم التنوّع الإنساني فكراً وعقيدةً وثقافةً وسلوكاً وتعايشنا مع الكثير من غير المسلمين وتقاربنا في بعض المجالات وتعاوننا في بعض البرامج نؤكّد أن تعاملنا الإيجابي واجب مع المسلمين الذين لديهم أفكار غريبة عن الإسلام وربما لجهلها به أو لانبهارها في الغرب وحضارته الماديّة وتهرّبها من الواقع البئيس الذي يعيشه عالمنا العربي والإسلامي لأننا إن تركناهم سيتمادون في غيّهم وبعدهم وتبقى الغشاوة على أعينهم، وإن قاطعناهم كانوا عقبة أمامنا يُعملوا جُهدهم في التأثير السلبي على شبابنا وفتياتنا، مما يستدّعي التعامل معهم ضمن ضوابط الشريعة التي لا تجعلنا نقرّهم على معتقد أو قِيَم خالفوا فيها أصول الدين وثوابته !!! ولكننا نتعاطى معهم أنهم جزء من الواقع الذي نعيش كغيرهم من أتباع الرسالات أو الثقافات الوضعية والبشرية.

كما أننا بحاجة لفهم أهمية معرفة المصالح والمفاسد المترتّبة على أعمالنا وتصرّفاتنا ومواقفنا فبعض مواقفنا قد تكون فيها مصلحة ولكن يترتّب على فعلها مفسدة كبيرة تضرّ بصورة الإسلام وبالمسلمين ولذلك وضع العلماء قاعدة (سدّ الذرائع)،

هذا بالطبع مع مراعاة أن المصالح والمفاسد تتغير من وقت لآخر ومن مكان لغيره.

كما أننا بأمسّ الحاجة لاستحضار واقعنا المؤلم الذي ضيّع الكثير فيه من أبناء الأمّـة الأصول والفروع فكان من الواجب التركيز على الأصول والانطلاق منها لتوعيتهم وربطهم بدينهم مع السعي للحديث عن الفروع لكن ألا نجعل الفروع أصلاً تكون سبباً في مفارقة هؤلاء أو معاداتهم ومقاطعتهم.

ومن أهمّ ما ننطلق به فهمنا وإدراكنا أننا نعي أن بعض المواقف وإن كانت تتطلّب منّا ألا نأمر بمعروف أو ننهى عن منكر لعدم الظروف الملائمة ولتحقّق انعكاسها سلباً على الإسلام والمسلمين، إلا أننا نؤكّد رفضنا أن نوافق أحداً أو نقرّه على أمرٍ حرّمه الإسلام باتّفاق المسلمين سعياً للتآلف معه وبنيّة دعوته لاحقاً وتصحيح عقيدته!!! فمن يضمن لنا أن نعيش أو يعيش هذا الشخص حتى يتأتّى لنا تصحيح معتقده ؟؟ ومن يقبل أصلاً أن نقرّ الباطل أو الكفر على معتقدٍ أو سلوكٍ أو فعلٍ محرّم بالإجماع ؟؟؟!!

إن حضورنا ومشاركتنا المؤسسات الإسلامية أو التي يُشرف عليها مسلمون لهم فكر ليبرالي أو توجّهات عَلمانية أو غيرها لا يُعتبر إقراراً لهم على مُعتقد خالفوا فيه الإسلام أو سلوك حرّمته أو نبذته الشريعة، وكلّنا يعلم أننا بحكم مستجدات واقعنا المعاصر يدخل في حياتنا وبيوتنا وأعمالنا وخصوصياتنا الكثير من التأثيرات المخالفة لبعض معتقداتنا بل هي أشدّ علينا من فكر ليبرالي أو عَلماني أو ما شابه، ومع ذلك نتعاطى معها بهدوء وحكمة منطلقين من ثوابت الشرع ومعزّزين تمسّكنا بالثوابت ومرونتنا في تطبيقها ومنفتحين على المستجّدات ودراستها وتوجيه المسلمين لآلية التعامل معها دون الوقوع في محرّمات والحذر من الشبهات.

كما أن الكثير من المسلمين الذين تأثّروا بأفكار مغلوطة بعيدة عن الإسلام ومنهجه هم ضحايا بعدنا عنهم وغلظتنا في مخاطبتهم وتنفير بعضنا لهم بافتقاد بعضنا لمنهجية الحوار وآدابه، وهي وإن كانت صادرة من جهات تحب الإسلام وتغار عليه إلا أنها لم تنجح في عرض صورة الإسلام بالشكل الملائم مما زاد الهوّة بيننا وبين مخالفينا. ولذلك أرى ضرورة أن نعيد دراسة خطابنا مضموناً وأداءً لنطمئن على أننا نسير على بصيرة وهدى ونعمل برؤية واضحة مع هؤلاء لنسهم في انتشال أمّتنا من حالة الهوان التي هي فيه.

وبما أن رسولنا وحبيبنا محمدﷺ: هو قدوتنا وأسوتنا والسلف الصالح نبراسنا أعرض لبعض الصور التي تظهر مواقفه والسلف الصالح مع الآخر مهما كان مخالفاً أو معادياً أو جاهلاً..... ومن أبرز هذه الصور:

الصورة الأولى: مواقف للنبيﷺ: تهدف لجمع كلمة النّاس:

(١) موقف الرسولﷺ: من حلف الفضول الذي كان بعد حرب الفجار حيث كان فيه إبراز القيم والأخلاق الفاضلة وأبرزها نصرة المظلوم وردّ الحقوق لأهلها. وقد مدحه رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم حينما قال: " لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان، ما أحبّ أن لي به حمر النعم ") رواه أحمد)

(٢) موقف الرسولﷺ: من بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود وتحكيمه بين قريش الذي أنهى الخلاف بينهم رغم أنهم على شرك وضلال.

(٣) موقف الرسولﷺ: من حرب الفجّار وإعانته لأعمامه حيث كان يمدّهم بالنّبال، وكانت مشاركته لهم من باب ردّ الظلم والاعتداء الذي تعرّضوا له.

(٤) موقف الرسول من صلح الحديبية والتعاهد مع المشركين للسلم والصلح وهو إشارة إلى أن القائد المسلم إذا دعي لخير أجاب لقوله ـﷺ:: **" لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله، إلا أعطيتهم إياها "**، ولم يقل أحد من علماء المسلمين أن الصلح مع المشركين إقرار لهم على معتقداتهم أو سلوكياتهم.

(٥) دخول الرسولﷺ: في جوار المطعم بن عديّ وهو غير مسلم وهذا يعني أن يكون التعامل معه قائم على التعاون في إرساء العدل ورفع الظلم مع المفارقة عنه في العقيدة.

هذه بعض المواقف وهناك غيرها الكثير الذي يؤكّد ما ذكرناه من أن مشاركة الكفار أو المشركين أو المخالفين في بعض الأمور لا تعني إقرارهم على عقائدهم أو القبول بمنكرهم أو إعانة لهم على نشر فتنهم.

(٦) مواقف الرسولﷺ: في الإصلاح بين الصحابة إضافة لإقرارهم على اجتهادات اختلفوا فيها فلم يعنّف أو يكفّر أو يُضلّل من اجتهد فأصاب أو أخطأ، كما أنّه عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم أقرّ في مواقف الاجتهادين المختلفين في المسألة الواحدة وما حادثة صلاة العصر في بني قريظة عنا ببعيد.

وكذلك الأمر عندما اختلف عبد الله بن مسعود مع أحد الصحابة في قراءة آية ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((**سمعت رجلا قرأ آية وسمعت رسول اللهﷺ: يقرأ خلافها فجئت به النبيﷺ: فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال: " كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**)) [(١)]

وهذا بالضبط ينطبق في كثير من المواقف على الأطياف الدّعوية التي تجمعنا بها عقيدة التوحيد وأصول الدين والتي ينبغي لنا أن نعيد النظر في التعامل المشترك بيننا ونتّجه ضمن بوصلة التوافق لتحقيق جمع شمل المسلمين وتعزيز وحدتهم وتآلفهم.

الصورة الثانية: - مواقف معتبرة من سيرة الصحابة للتوافق مع بعضهم البعض ومع غير المسلمين:

(١) قبول الصحابة رضوان الله عليهم الدّخول في جوار المشركين خاصة للذين لم تكن لهم قبائل تحميهم أضطروا فيها للدخول في جوار المشركين، فهذا أبو بكر الصدّيق عندما عزم الهجرة إلى الحبشة لشدّة ما لقي من المشركين لقيه ابن الدغنة فعرض عليه أن يدخله في جواره فقبل الصدّيق وعاد لمكّة، وكذلك فعل عثمان بن مظعون لما عاد من هجرة

(١) ١٦٢ رواه البخاري ٣٤٧٦

الحبشة الأولى لم يستطع دخول مكّة إلا بعد أن دخل في جوار الوليد بن المغيرة.

(٢) اختلاف الصحابة في موت الرسولﷺ: فسلّموا لقضاء الله عندما وقف الصدّيق فيهم مذكّراً تالياً آيةً من كتاب الله جمعهم وجنّبهم الخلاف او الاختلاف حين تلا قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾[١]

(٣) كما إنّ المواقف التي أحدثت خلافاً بين الصحابة كثيرة ذكرتها كتب السِّيَر وأظهرت لنا منهج الصحابة في وأد الفتن ونبذ الخلاف وجمع كلمة الأمّة على ما يُرضي ربّها، فموقفهم من خلافة الرسولﷺ: معروفة لكنهم انتهوا إلى مبايعة أبا بكر الصدّيق، وكذلك اختلافهم في إنفاذ جيش أسامة وقتال مانعي الزكاة وغيرها من المسائل الفقهية.

وما أجمل ما قاله ابن القيم رحمه الله: ((وقد تنازع الصحابة – رضي الله عنهم – في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، واكمل الناس إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل السماء والصفات والأفعال))[٢]

الصورة الثالثة: مواقف معتبرة تهدف لجمع الكلمة من سيرة السلف الصالح وسيرتنا المعاصرة:

تعامل السلف الصالح وعلماؤنا المعاصرون مع الروايات التي تعرض اختلاف الصحابة على أساس أنه إن صحّت روايته يدخل في دائرة الاجتهاد فمن أصاب فيه له أجران ومن أخطأ فله أجر واحد. وإن لم تصحّ فيه الروايات فحينها لا يُعتدّ به وبالتالي لا يكون سبباً للفرقة والخصام.

كما تعامل الكثير من علمائنا الأجلّاء مع ظاهرة الفرقة والخصام بروح الغيرة والحرص على لمّ شمل الأمّة ومكوّناتها وجمعها على أصول الدّين وما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليه مما شكّل نموذجاً حيّاً لوجود جهود تحرص على معالجة هذه الظّاهرة التي بدأت بالتصاعد في كثير من الأقطار، بل بات تأثيرها يُهدّد الأمّة الإسلامية بأسرها ويُعمل فيها فرقة وتمزيقاً والله المستعان !!! وأملنا كبير بالله تعالى ثم بجهود الغيورين من أهل العلم الذين يمتلكون النوايا الصادقة والحكمة في الخطاب وتوجيهه ليُحدث تأثيره الإيجابي وينتشل أمّتنا والفرقاء فيها من حالة الهوان التي هي فيها.

لذلك أجد من الأهميّة بمكان أن أعرض بعض توصيات أهل العلم المعاصرين التي تدعو للوحدة ونبذ الخلاف والافتراق، وهي وإن كانت رسالةً معتبرة وهامّة إلا أننا بأمسّ الحاجة منهم ومن كل العلماء والدّعاة والمفكّرين والمتخصّصين إلى خطوات عملية ضمن رؤية استراتيجية واضحة الرؤية والرسالة والأهداف والوسائل مستنيرة بالمؤشّرات التي تجعلنا نطمئن إلى أن مسيرتنا صحيحة ونتائجها المرجوّة قريبة المنال بإذن الله وتوفيقه ورعايته.

---

(١) آل عمران: ١٤٤

(٢) ملخص تاريخ الخوارج: محمد شريف سليم صفحة (١٢١-١٢٢)

من أبرز مواقف وتوصيات أهل العلم المعاصرين في هذا المجال والتي أحببت الاستشهاد فيها:

الموقف الأول: وصية الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث يقول: " يجب علينا في هذه الدعوة المباركة أن نكون في دين الله إخوة متآلفين متوادّين؛ لأن الله –عز وجل– يقول: {إنما المؤمنون إخوة} والنبيﷺ: قال: «**وكونوا عباد الله إخوانا**»، ومقتضى هذه الأخوة ألا يعتدي بعضنا على بعض، وألا يبغي بعضنا على بعض، وأن نكون أمـّة واحدة غير متفرقة في دين الله في أهوائها وآرائها ".(١)

الموقف الثاني: كما خاطب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المفتي العام للمملكة العربية السعودية رحمه الله، فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي رئيس الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين تعليقاً على كتابه " الحلال والحرام في الإسلام " خلاصتها: أن وزارة الإعلام طلبت رأيه في كتابي "الحلال والحرام في الإسلام"؛ لأن بعض الناشرين طلبوا من الوزارة أن "تفسح" له، وكلمة "الفسح" غدت مصطلحاً معروفاً في المملكة يُقصد به الإذن بنشر الكتاب ودخوله في السعودية.

فلا غرو أن ذكر الشيخ ابن باز بأدب العالم الكبير، ورفق الداعية البصير أنه يريد أن يفسح للكتاب لما فيه من نفع للمسلمين لسلاسته وجمال أسلوبه، وأخذه بمنهج التيسير، ولكن المشايخ في المملكة خالفوه في ثماني مسائل. وسرد الشيخ – رحمه الله– هذه المسائل الثماني، ومنها: ما يتعلق بزي المرأة وعملها، وما يتعلق بالغناء والسماع، وما يتعلق بالتصوير، وما يتعلق بالتدخين وأني لم أحسم الرأي فيه بالتحريم، وما يتعلق بمودة غير المسلم... الخ.

وقال الشيخ رحمه الله: وإن كتبك لها وزنها وثقلها في العالم الإسلامي، وقبولها العام عند الناس، ولذا نتمنى لو تراجع هذه المسائل لتحظى بالقبول الإجماعي عند المسلمين.

هذا وقد رددت تحية الشيخ بأحسن منها، وكتبت له رسالة رقيقة، تحمل كل مودة وتقدير للشيخ، وقلت له: لو كان من حق الإنسان أن يدين الله بغير ما أداه إليه اجتهاده، ويتنازل عنه لخاطر من يحب، لكان سماحتكم أول من أتنازل له عن رأيي؛ لما أكن لكم من حب وإعزاز واحترام، ولكن جرت سنة الله في الناس أن يختلفوا، وأوسع الله لنا أن نختلف في فروع الدين، ما دام اختلافاً في إطار الأصول الشرعية، والقواعد المرعية، وقد اختلف الصحابة والتابعون والأئمة الكبار؛ فما ضرهم ذلك شيئاً؛ اختلفت آراؤهم، ولم تختلف قلوبهم، وصلّى بعضهم وراء بعض.

والمسائل التي ذكرتموها سماحتكم، منها ما كان الخلاف فيها قديماً، وسيظل الناس يختلفون فيها، ومحاولة رفع الخلاف في هذه القضايا غير ممكن، وقد بين العلماء أسباب الاختلاف وألفوا فيها كتباً، لعل من أشهرها كتاب شيخ الإسلام "رفع الملام عن الأئمة الأعلام".

(١) كتاب الصحوة الإسلامية.. ضوابط وتوجيهات للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٤٧-٤٩

ومن هذه المسائل ما لم يفهم موقفي فيها جيداً، مثل موضوع التدخين؛ فأنا من المشددين فيه، وقد رجحت تحريمه في الكتاب بوضوح، إنما وهم من وهم في ذلك؛ لأني قلت في حكم زراعته: حكم الزراعة مبني على حكم التدخين؛ فمن حرم تناوله حرم زراعته، ومن كره تناوله كره زراعته، وهذا ليس تراجعاً عن التحريم.

وأما مودة الكافر فأنا لا أبيح موادة كل كافر؛ فالكافر المحارب والمعادي للمسلمين لا مودة له، وفيه جاء قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[سورة المجادلة: من الآية ٢٢]. ومحادة الله ورسوله ليست مجرد الكفر، ولكنها المشاقة والمعاداة.

وتعلم سماحتكم أن الإسلام أجاز للمسلم أن يتزوج كتابية، كما في سورة المائدة ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[المائدة: ٥]، فهل يحرم على الزوج أن يود زوجته، والله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[سورة الروم: من الآية ٢١]، وهل يُحرّم على الابن أن يود أمّه الكتابية؟ أو يود جده وجدته، وخاله وخالته، وأولاد أخواله وخالاته؟ وكلهم تجب لهم صلة الرحم، وحقوق أولي القربى.

على كل حال أرجو من فضيلتكم ألاّ يكون الاختلاف في بعض المسائل الاجتهادية الفرعية حائلاً دون الفسح للكتاب، وها هو الشيخ الألباني يخالفكم في قضية حجاب المرأة المسلمة.. فهل تمنعون كتبه؟

وختمت الكتاب بالتحية والدعاء.. وأعتقد أن الشيخ استجاب لما فيه، وفسح لكتاب "الحلال والحرام" ولغيره من كتبي، والحمد لله "[1]

وهنا ندرك مدى الأفق الكبير الذي تميّز به مشايخنا وعلماؤنا الأجلّاء، وبنفس الوقت نتألّم للصورة المحزنة التي عليها الكثير من العلماء والدّعاة اليوم والتي نرى فيها التقاطع والاختلاف والاتّهام بالتضليل والتكفير لأتفه المسائل المختلف فيها ولا حول ولا قوّة إلا بالله !!!!!

الموقف الثالث: وصية الشيخ عبد الرحمن السديس – حفظه الله – ونداءه لقيادات العمل الإسلامي لضرورة جمع الصف وتوحيد الكلمة ورأب الصدع حيث قال فيها: " يا قادة المسلمين! ويا أهل الرأي والفكر! ويا رجال العلم والدعوة والإصلاح! اتقوا الله في أنفسكم وأمتكم، احملوا رايات التضامن والتآلف، واحرصوا على رأب الصدع وجمع الكلمة ووحدة الصف وتضييق مجاري الخلاف، والقضاء على أسباب النـزاع والخصومات.

(١) مذكّرات القرضاوي.

يا عباد الله! أعداؤكم يقيمون أحلافًا واتحادات وتكتلات للقضاء على الإسلام واحتلال دياره والكيد لأبنائه، والمسلمون أولى أن يقوموا بذلك، وإن لم يجمعهم الحق، فرقتهم الأهواء بالباطل، فوصيتي إلى المسلمين جميعًا والعاملين لهذا الدين خصوصًا، من منبع الوحدة والإخاء أن يصلحوا ذات بينهم، ويبتعدوا عن التحريش والخصومات، وأن يحرصوا على سلامة الصدور وطهارة القلوب من الأحقاد، وسل الضغائن من النفوس؛ ليكونوا يداً واحدةً على أعدائهم، وإن بوادر التآلف وبذور الاجتماع والوحدة لتبشر بالخير في الأمة الإسلامية، فالأمة بخير، وما زالت بخير بحمد الله، ونسأل الله أن يزيدها من الخير والتوفيق لتعود إلى سالف مجدها وغابر عزها وقوتها، وما ذلك على الله بعزيز". [1]

الموقف الرابع: ما ذكره فضيلة أ. د. صلاح الصاوي في مقدّمة كتابه " مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي " حيث قال:

"إنّ معاول التفرق التي عملت في بنيان الأمة عبر التاريخ فقسمتها إلى ثلاث وسبعين فرقة، هي التي لا تزال تعمل في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، وتعصف بكل محاولة جادّة تسعى لإقامة دين الله عزّ وجل، والانتصار لشريعته المضاعة وكتابه المهجور، مع فارق أساسي وهو أن معاقد التفرّق السابق كانت على الأصول والقواعد الكليّة فخرجت الخوارج، وأرجأت المرجئة، واعتزلت المعتزلة، وانفصلت بها الفرق عن جماعة المسلمين، وتساقطت على جنبتي صراطها المستقيم، أما التفرُّق المعاصر فهو لم يبلغ مضمونه هذه الدرجة من التعقيد والشناعة، إذ لا يزال أطرافه على الجملة يدورون في فلك أهل السنّة والجماعة وخلافهم لم يخرج عن دائرة مجاري الاجتهاد ومسائل النّظر، وإن كان يوشك أن يبلغ في نتائجه وآثاره ما بلغته الفرق القديمة من التناحر والاعتلال " [2]

والمواقف والتصريحات الإيجابية في هذا الصدد كثير، ينبغي البناء عليها وإيجاد آلية لجعلها حقيقة نتعايش بها.

صور لا بدّ من الحذر منها في جمع الكلمة:

(١) سعي بعض غير المسلمين أو أصحاب الضلال من المسلمين لمداهنة الدّعاة لهم بحيث يوقعوهم بإقرار المنكر والموافقة على فعله بشكل أو بآخر، وقد حذّرنا ربنا من مداهنة أهل الباطل في المعتقد أو السلوك فقال جل في علاه ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ويحضرني في ذلك ما عرضه كفار قريش على النبيﷺ: من أن يعبدوا الله يوماً معه على أن يعبد آلهتهم في اليوم الذي يليه !! فتنزّلت سورة الكافرون لتثبيت العقيدة والمنهج: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

(٢) رفض بعض العلماء أو الدّعاة لفكرة جمع الكلمة تعصّباً لشيخه أو رأيه أو أحياناً ردّة فعل على من خالفه أو نال من

(١) من كتاب دروس للشيخ عبد الرحمن السديس وهو دروس صوتية تم تفريغها في موقع الشبكة الإسلامية رقم الدرس ١١٩.

(٢) صفحة ٦ من كتاب " مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي " أ. د. صلاح الصاوي أمين عام مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ١٤٣٣هـ-٢٠١١م.

شخصه، فلا يتّسع صدره لأخيه ولا يصفح عمّن أساء إليه مع أن النبي الكريمﷺ: قدوتنا وأسوتنا في منهجيته في التعامل القائم على المسامحة والعفو.

(٣) التعامل بين الأطياف الدّعوية بالمجاملة السلبية وإخفاء صور الاختلاف في الآراء بحيث يظهر في اللقاءات معهم أنه يوافقهم أو لا يُخالفهم وبعد انتهائه يعود لخطابه ومواقفه التي تُظهر عكس مواقفه معهم حين اللقاء بهم مما يزيد من الشرخ ويوسّع الهوّة بين الفرقاء.

توصيات هامّة

من خلال ما استعرضته في هذه الورقة خلُصت لتوصيات أرى أهميتها وضرورة إعطاءها أولوية في برامجنا وتوجّهاتنا القادمة لنحقق مرادنا ومنانا من جمع المسلمين من خلال تحقيق التوافق والتآلف والتعاون بين علمائهم ودعاتهم، ومن أهم هذه التوصيات:

(١) لا بد من عمل دراسة علمية دقيقة لواقع العلماء والدّعاة ومدارسهم ونقاط التوافق والاختلاف بينهم ومعرفة أسباب الفرقة والخصام وتصنيفها.

(٢) وضع منهجية واقعية وإستراتيجية متكاملة تنطلق من الدراسة التي ذكرتُ تُراعي الاخر وتحترم اجتهاده ولا تقصيه وتستوعب ضعف تجاوبه أو عدمه لتصل به وبغيره للصورة الحسنة التي نأمل لعلمائنا ودعاتنا ومدارسهم الوصول إليها والتعامل بها.

(٣) تخصيص مادة منهجية متكاملة لطلبة العلم في كافّة المراحل تعلّمهم أدب الاختلاف وآداب الحوار مستندة للنصوص الشرعية وسيرة السلف الصالح ومستجدات الواقع وتحدّياته.

(٤) دعم التجارب النّاجحة للعلماء والدّعاة أو الهيئات والمؤسسات التي تجمعهم وإبرازها بمختلف المجالات والسعي الجاد لنقل هذه التجارب لكافّة المحاضن الدّعوية والعلمية لتحقيق النّفع والفائدة.

(٥) التعرّف على أبرز المتسبّبين بإحداث الفرقة بيننا وتوجّهاتهم ومنهجية التعامل معهم، سواء من أساء منهم فهمنا أو جهل مقاصدنا السامية، أو كان ممن يعلم نبل نوايانا ومقاصدنا لكنه حاقد علينا متربّص بنا يسعى بكل السبل للتهجّم علينا وعلى معتقداتنا والإساءة لصورة العلماء والدّعاة الأخيار من خلال ضرب صورتهم كقدوة لعموم الأمّة.

الخاتمة

وختاماً أجد من الواجب القول أن تسليط الضوء على مسألة التوافق بين الأطياف الدّعوية جاء متأخّراً جدّاً وإن كانت هناك محاولات هنا وهناك بشكل فردي أو جماعي لكنها لم تكن منهجية ومتكاملة أو مترابطة بالصورة المأمولة مما جعلها تتوقّف مع ردّة الفعل السلبية من البعض الذي رفضها ورفض التجاوب معها، وما طرح مثل هذا الأمر الهام عبر مؤتمرنا هذا إلا خطوة هامّة وفي الاتّجاه الصحيح الذي يسعى للمّ الشمل وجمع الكلمة على مصلحة البلاد والعباد.

وأعتبر أنّها أمانة في عنق كل المرجعيات الدينية المعتبرة من اتّحادات العلماء وهيئاتهم ومجامعهم الفقهية والدّعوية إضافة لكل عالم وداعيةٍ يتّقي الله ويسعى لرضاه أن يأخذ على عاتقه المشاركة في فهم هذا الأمر والتوافق معه وبذل الوسع في المساهمة في وضع ملامحه والمشاركة الإيجابية في توجّهاته لنخرج الأمّة من مستنقع فرقتها وننهض بها إلى المكانة السامية التي أرادها الله لها لتكون شاهدةً على الناس مبلّغةً لدين الله وساعيةً لرفع معاناة بني البشر من خلال تعريفهم بربّهم وخالقهم ومقصد خلقه لهم ومطلب عيشهم وحياتهم وهو العبودية لرب النّاس.

والله أسأل في الختام أن يجزي عنّا " مجمع فقهاء الشرعية في أمريكا " خير الجزاء لتناولهم هذا الموضوع ولإتاحة الفرصة لمسلمي أوكرانيا مشاركتهم هذا النّقاش العلمي الهادف لجمع الكلمة وتوحيد شتات الأمّة ودحض الشبهات عن الإسلام وتحقيق مصالح الخير ومقاصد الشريعة من خلال التواصل الإيجابي مع كافّة الأطياف الدّعوية.

والله نسأل التوفيق والقبول والرّضا، إنه سميع مجيب الدّعوات وأن نكون وإيّاكم مفاتيح لأبوب الخير مغاليق لأبواب الشر

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على سيّد المرسلين وخاتم الأنبياء والمرسلين
سيّدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عماد مصطفى أبو الرُّب

رئيس المركز الأوكراني للتواصل والحوار

كييف - أوكرانيا

المراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) مسند الإمام أحمد، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، النّاشر: مؤسسة الرسالة.

(٣) صحيح البخاري. لمحمد بن إسماعيل البخاري، النّاشر: دار ابن كثير – دمشق الطبعة الأولى.

(٤) الجامع الكبير – سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الضحاك، الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النّشر: ١٩٩٨م.

(٥) محاضرات في مقاصد الشريعة؛ للأستاذ الدكتور أحمد الريسوني – دار الكلمة للنشر والتوزيع –.

(٦) مقالة في موقع الألوكة لحمزة بن عبد العزيز المجاطي مقدمة في التعريف بعلم مقاصد التشريع رابط الموضوع http://www.alukah.net/sharia/0/71800/#ixzz3wIYVbctp

(٧) الأصول العامة لوحدة الدين؛ د/ وهبة الزحيلي – الطبعة الأولى ١٩٧٢.

(٨) معجم مقاييس اللغة المؤلّف: أحمد بن فارس بن زكريا ابو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، سنة النشر: ١٣٩٩-١٩٧٩.

(٩) خلاصة الجواهر الزكية في فقه المالكية أحمد بن تركي المالكي المتوفي (٩٧٩ هـ) الناشر: المجمع الثقافي – أبو ظبي – الإمارات العربية المتّحدة. عام النّشر: ٢٠٠٢م.

(١٠) كتاب السنة، الشيباني،المجلد الأول.

(١١) كتاب أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة فصل فقه الموازنات د. يوسف القرضاوي.

(١٢) المعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثالثة عام ١٩٩٨.

(١٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١٥.

(١٤) لسان العرب لابن المنظور ط. الأوقاف السعودية – الأميرية

(١٥) مذكّرات القرضاوي "ابن القرية والكتاب "ملامح سيرة ومسيرة" د.يوسف القرضاوي، النّاشر:دار الشروق (القاهرة).

(١٦) ملخص تاريخ الخوارج: محمد شريف سليم

(١٧) (كتاب الصحوة الإسلامية.. ضوابط وتوجيهات للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٤٧-٤٩).

(١٨) من كتاب دروس للشيخ عبد الرحمن السديس مادّة صوتية مفرّغة من موقع الشبكة الإسلامية رقم الدرس ١١٩.

(١٩) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرّف، د. يوسف القرضاوي، تاريخ النشر ٢٠٠٠م، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٢٠) مجلّة الأمّة الوسط – الأمّة الإسلامية: الوحدة والاختلاف. السنة الثانية ٢٠١٠م العدد الثاني.

(٢١) مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي أ. د. صلاح الصاوي أمين عام مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا ١٤٣٣هـ-٢٠١١م.